الفصل الرابع والخمسون بعد المئة

تنقيح الشعر والدواوين

والذي يطالع كتب الأدب والأخبار، ويقرأ ما ورد فيها عن الشعراء الجاهليين، يخرج منها بانطباع خلاصته ان أكثر شعراء الجاهلية ، لم يكونوا يهذبون شعرهم ، ولم يكونوا يثقفونه ، ولم يكونوا يجرون عليه تحويراً أو تغييراً أو تعديلاً ، بعد انشادهم له ، وان أغلبهم كان يقول شعره ارتجالاً من غير تحضير سابق ولا تهيئة، فهو من عفو الخاطر . جرت على ذلك سنة الشعراء في الجاهلية ، فكان شاعرهم يرتجل شعره حسب الظروف والمناسبات .

وتصدق دعوى أهل الأخبار هذه في شعر المناسبات وفي المفاجآت ، أي في الحالات التي لا يكون الشاعر فيها على علم مسبق بأنه سيقول فيها شيئاً من الشعر فتضطره المناسبة الى قول شيء منه ، أما في الحالات الأخرى ، فإن دعواهم هذه لا يمكن قبولها ، بسبب اننا نجدهم يذكرون ان الشاعر كان يهيء شعره قبل إلقائه ، وانه كان اذا نظم يحفظه رواته ، أو يدونه على صحيفة ، وقد ينقح فيه ويجوّد ، وان من الشعراء من كان يحرص على ألا يذيع شعره إلا بعد أمد، وإلا بعد أن يعرضه على خاصته ليروا رأيهم فيه ، فيغير فيه ويبدل ، فإذا سمع آراءهم وملاحظاتهم ووجدها وجيهة ، أخذ بها ، وصقل شعره بموجبها ، وعندئذ يذيعه ويعطيه راويته لينشره بين الناس .

جاء في (طبقات الشعراء) أن الرسول سأل (عبدالله بن رواحة) : « كيف تقول الشعر إذا قلت ؟ » فأجابه : « أنظر في ذلك ثم أقول » . فأمره أن

يقول شعراً تقتضيه الساعة ، وأخذ ينظر اليه : فانبعث عبدالله يقول شعراً ، ثم قال : « ولم أكن أعددت شيئاً »[1] . وجاء في كتاب « الشعر والشعراء » عن (الحارث بن حلزة) ، وهو القائل :

آذنتنـــا ببينها أسمـــاء ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواء

ويقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالاً »،ثم قال : « قال الأصمعي: قد أقوى الحارث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها ، قال :

فملكنا بذلك الناسّ إذ ما ملك المنذر بن ماء السماء

قال أبو محمد:ولن يضر ذلك في هذه القصيدة،لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة[2]. فاعتذر عن الإقواء بالارتجال ، ومعنى هذا أنه لو كان قد هيأها وأعدها من قبل، كما هي العادة لما وقع في الاقواء .

وفي جواب (عبدالله بن رواحة) « لم أكن أعددت شيئاً » ، وفي اعتذار المعتذر عن إقواء (الحارث بن حلزة) ، دلالة بينة على أن الشعراء كانو يهيئون شعرهم وينقحونه قبل إنشاده ، وأنهم كانوا لا يقولون شيئاً منه إلا بعد أن يكون قد اختمر في رؤوسهم ورضوا عنه ، حتى يكون سديداً ، اللهم إلا في المناسبات وفي الظروف الحرجة التي تهز الشاعر فتحمله على نظم الشعر .

وورد أن (الحارث بن حلزة) اليشكري ، قال لقومه ، « وهو رئيس بكر ابن وائل : إني قد قلت قصيدة ، فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه ، فروّاها ناساً منهم ، فلما قاموا بين يديه لم يرضهم ، فحين علم أنه لا يقوم بها أحد مقامه ، قال لهم : والله اني لأكره أن آتي الملك فيكلمني من وراء سبعة ستور ، وينضح أثري بالماء إذا انصرفت عنه ، وكان لبرص كان به ، غير اني لا أرى أحداً يقوم بها مقامي ، وأنا محتمل ذلك لكم »[3] ، مما يدل على أنه كان قد أعدّها ونظمها بعد تروٍ ودراسة ، ثم ألقاها على الملك ، مع أننا

---

١ طبقات (٥٥) ، شرح شواهد ، للسيوطي (١/٢٩٣) ، العمدة (١/٢١٠) .
٢ الشعر والشعراء (١/١٢٧ وما بعدها) ، العمدة (١/١٩٠) .
٣ الخزانة (١/٥١٩) .

نرى الكتب ، تذكر أنه ارتجلها ارتجالاً ، بمعنى أنهـا كانت من وحي الموقف والساعة ، ولم تكن مهيأة من قبل : لأن الارتجال في الكلام ، التكلم من غـير تدبر ولا تهيئـة سابقة ، وقيل من غير روية ولا فكر[1] . ويظهر أنهم قصدوا بالارتجال إلقاء الكلام من غير نظر الى صحيفة ، وذلك أوقع في النفس عندهم من الإلقاء عن شيء مكتوب ، على الرغم من كون صاحبه قد أعده من قبـل وقد حفظه ، كما يفعل شعراء هذا اليوم من إنشادهم شعرهم المنظوم سابقـاً من غير نظر في صحيفة ، ليظهر الشاعر وكأنه يرتجله ارتجالاً .

ولا يعقل أن يكون الشعر كله من نتاج المصادفة والمفاجأة ، وانه كان يحفظ على نحو ما قيل وأنشد ، فلم يجر عليه قلم ، ولم ينله تهذيب ولا تشذيب،ولا سيما بالنسبة للقصائد . فقد كان الشاعر ينظم شعره مقدماً في الغالب ، ثم ينشده رواته وجماعته ، لئلا ينساه ، ثم يرى رأيهم فيه ، وقد يزيد هو عليـه شيئاً ، وقد ينقص منه شيئاً ، ومن هنا نجد رواية أكثر القصائد لا تثبت على ترتيب واحد، وليست لها وحدة مستقلة ولا ترتيب متكامـل ، إلا في أحوال نادرة ، ومن ثم اختلفت الرواية عن الشاعر ، فقد يكون أحد الرواة ، قـد افترق عن الشاعر وابتعد عنه ، وهو يحفظ شعره على نحو ما سمعه منه ، على حين يكون الشاعـر قد أضاف عـلى شعراً شيئـاً جديداً ، حفظه عنه غيره من الرواة ، فتسبب ذلك في ظهور الاختلاف في القصيدة الواحدة ، وتكون الرواية القديمة أقصر من الرواية الحديثة في العادة ، لعدم دخول الزيادة التي ترد متأخرة بالطبع على الشعر[2]. روي عن (ابن مقبل) قوله : « اني لأرسل البيوت عوجاً ، فتأتي الرواة بها قد أقامتها »[3] . فللرواة إن صح هذا الخبر ، يد في إصلاح الشعر،وفي تغييره ، وفي إقامة ما قد يكون فيه من اعوجاج .

ولا بد للشاعر من إعداد الشعر (القصيد) وتهيئته والنظر فيه قبل انشاده ، كما في شعر المدح والهجاء ، لما يجب أن يتفنن فيه الشاعر ، وهو على عـلم أن من سيقصده لمدحه ، قد قصده غيره للغاية نفسها ، وقـد يصادف انشاده لشعره

---

١ تاج العروس (٣٣٧/٧) ، (رجل) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٦١/١) .
٣ مجالس ثعلب (٤٨١) .

ـ وهو ما يقع في الغالب ـ بحضور عدد آخر من الشعـــراء المحترفين للشعر ، المتفننين فيه ، فإذا هو لم يهيء شعره من قبل ولم يعرضه على أحد ولم يتفنن فيه ، ويأتي فيه بغرائب الفنون ، ضاع شعره بين بقية الأشعار . فهو مضطر اذن على إعداد شعره إعداداً حسناً قبل إنشاده أمام الممدوح ، وحكّه وتشذيبه لينال المكانة المرجوة بين بقية الشعر .

ونجد في شعر ينسب الى (امرىء القيس) ، يذكر فيـــه ان المعاني كانت تنثال عليه ، فكان يعمل رأيه فيها ، فيؤخر ويقدم ، ويتخير ما يستجاد من غرر الأبيات :

أذود القوافي عني ذياداً ذياد غلام جـــريء جرادا
فلـــما كـــثرن وعنينـــني تخيرت منهـــن ستا جيـادا
فأعزل مرجانهـــا جانبـــاً وآخذ من درها المستجادا [1]

وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات الى غيره .

ولا بد في شعر الهجاء من إعداد ، ولا سيما في شعر الهجاء الذي يعدّ للردّ على شاعر هجّاء ، أو على شعر هجاء سابق ، إذ يجب في هذه الحالـــة اعداده بعناية لتحطيم الهاجي وإسقاطه وإخماله ، ويستدعي ذلك عمل الروّية فيـــه والتأمل طويلاً ، وإنشاد الشعر مراراً وتكراراً على الرواة والعارفين بالشعر لأخذ رأيهم فيه . وقد يزيدون عليه وقد ينقصون منه ، فإذا رضي الشاعر عنه ، وقنع به ، أنشده أمام الناس ، وقد يكون في المواسم ليسير بين القبائل ، وقد يرسل مكتوباً الى من يهمهم الأمر ليصل اليهم ذلك الهجاء . وقد يكون الشاعر (تميم بن مقبل) (تميم بن أبيّ بن مقبل) ، قد عنى هذا المعنى في البيت المنسوب قوله اليه :

بني عامر ، ما تأمرون بشاعر تخـــير بابات الكتاب هجائيا [2]

وبابات الكتاب ، سطوره ، وهو بيت لا يخلو من غموض ، حتى ان علماء

---

١ ديوان امرىء القيس (٦٣) .
٢ ديوانه (ص ٤١٠) ، (الدكتور عزة حسن) ، « تخير آيات » ، العمدة (١٦٧/٢)، الحيوان (١١٢/٧) .

اللغة اختلفوا في تفسيره ، اختلافاً كبيراً ، وقد يفهم منه أن الشاعر كان قد تخير هجاءه ودونه في وجوه الكتاب ، أي أن الهجاء كان مدوّناً بسطور ومكتوباً، وقد يكون قد أنذر به وتوعد ، بأن من سيهجوهم إذا لم يكفوا عن سفههم ، فإنه سيدوّن هجاءه ويثبته في سطور وينشره بين الناس ، فهو ينذرهم به ويتوعدهم وقد أدخله صاحب (العمدة) في « باب الوعيد والانذار » ، وقال : « كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويحذرون من سوء الاحدوثة ، ولا يمضون القول إلا لضرورة لا يحسن السكوت معها »[1]. وقد اتخذ (كولدتزيهر) هذا البيت دليلاً على وجود التدوين في شعر الهجاء عند العرب ، كما اتخذ من شعر (ليلى الأخيلية) :

أتاني من الأنبـاء أن عشيرة بشوران يزجون المطي المذللا
يروح ويغدو وفدهم بصحيفة ليستجلدوا لي،ساء ذلك معملا[2]

دليلاً آخر على تدوين الهجاء .

وتنقيح الشعر تهذيبه . وأنقح شعره اذا حككه ، أي أزال عيوبه . ولهذا قيل : خير الشعر الحولي المنقح[3] . فكان الشاعر اذا نظم شعراً أجال بصره به ، ليرى ما فيه من نشاز وعيوب ، فيحك منه ما يحتاج الى حك ، ويجيل بصره به الى أن يعجبه ويرضيه ، فيقوله للناس . وقد ينقحه بعد إلقائه ، إذ قد يسمع نقداً يراه من شاعر أو من العارفين بالشعر ، صائباً ، فينقح الموضع المنتقد . وقد ينتبه الشاعر وهو يقرأ شعره على الملأ ، الى أفكار لم تكن تخطر على باله ساعة نظم شعره ، فينظمها ويضيفها الى ما نظمه .

وكان من الشعراء من يكتب ويقرأ ويدون شعره . ومن هؤلاء (عدي بن زيد العبادي) ، الذي كان يتولى مكاتبة العرب عند (كسرى) ، والذي كان قد حذق الكتابة بالعربية والفارسية[4] . وهو من شعراء (الحيرة) ، والشاعر

---

١ العمدة (١٦٧/٢) .
٢ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (٩٨) .
٣ تاج العروس (٢٤٢/٢) ، (نقح) ، (١٢٢/٧) ، (حك) .
٤ الاغاني (١٠١/٢ وما بعدها) .

(سويد بن صامت الأوسي) ، و (عبدالله بن رواحة) ، و (كعب بن مالك الأنصاري) ، وهم من شعراء يثرب[1] ، ولهذا فلا يستبعد وقوع التدوين والتنقيح من هؤلاء الشعراء ومن أمثالهم الذين كانوا يقرأون ويكتبون ، يكتبون شعرهم ، ثم يجيلون النظر فيه ، فيغيرون منه ما شاءوا ويبدلون ما لا يعجبهم منه حتى يستوي ، فيذاع .

ولو ذهبنا هذا المذهب وقلنا بصحة المذكور في هذه الروايات ، حق علينا أن نقول إن الشعراء الجاهليين ان لم يكن أكثرهم فبعضهم على الأقل كانوا ينقحون شعرهم ويعدلون فيه ويجبرونه ، حتى يستقيم في نظرهم ويستوي . فإذا رضوا عنه ، أذاعوه عندئذ ، وأنشدوه حين تدعو الداعية إلى الإنشاد . وقد يطول هذا التنقيح ، وقد ينقص . قد يقع في أيام ، وقد يقع في شهر أو شهور أو حول أو أكثر . ومثل هذا التنقيح والتحكيك ، يستدعي وجود تدوين في الغالب ، بأن يدون الشاعر أو راويته الشعر ، ثم يجري التنقيح على المكتوب .

ذكر (ابن قتيبة) ، ان من الشعراء المتكلف والمطبوع . « فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة . وكان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين . وكان الحطيئة يقول : « خير الشعر الحوليّ المنقح المحكك » ، وكان زهير يسمى كُبَرَ قصائده: (الحوليات)[2]

وقد أشار بعض الشعراء الى تنقيحه شعره والى تهذيبه له ، وتحكيكه فيه . منهم الشاعر المخضرم (سويد بن كراع) من (عطل)[3] ، وكان شاعراً محكماً[4]. فقال في أبيات يذكر تنقيحه شعره :

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعدما يكون سُحَيْراً أو بُعيد فأهجعا

---

١ ابن سعد ، الطبقات (٢/٣ ص ٧٩) ، المحبر (٢٧١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٥/٣) .
٢ الشعر والشعراء (٢٢/١ وما بعدها) ، (الثقافة) ، البيان والتبيين (١٣/٢ ، ٢٠٤) ، (لجنة) ، البيان والتبيين (٢٠٤/١) ، (هارون) .
٣ الاغاني (١٢١/١١) ، الشعر والشعراء (٥٣٠/٢) ، (الثقافة) .
٤ الاصابة (١١٧/٢) ، (رقم ٣٧٢٢) .

إذا خفت أن تُروى علي رددتها وراء التراقي خشيةً أن تَطلّعا
وجشّمني خوف ابن عفّان ردها فثقفتها حولاً جريداً ومَربَعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أرَ إلاّ أن أطيع وأسمعا [1]

وكان هجا قومه ، فاستعدوا عليه عثمان ، فأوعده ، وأخذ عليه ألا يعود [2] . فأخذ يهذب شعره ويثقفه خشية الوقوع فيما لا يحمد عليه .

وذكر (ابن قتيبة) أن « المتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً ، فليس به خفاءٌ على ذوي العلم ، لتبيّنهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر ، وشدة العناء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه » [3] .

وقال : « والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، وإذا لم يتلعثم ولم يتزحر » [4] .

والتكلف في نظم الشعر شيء ممجوج ما في ذلك شك ، لما فيه من تصنع وتنطع ، وخروج على عفو الخاطر ، وعلى الطبع . أما تهذيب الشعر ومراجعته وتشذيبه ، والتأني فيه ، والنظر فيه ، لتعبيده وتشذيبه ، حتى يكون عذباً نقياً ، نابعاً عن شاعرية وسليقة ، خالياً من الشطحات والنزوات ، يعجب السامع ، فأمر آخر ، على ألا يتجاوز الحد ، بحيث يخضع الشعور لاستبداد الصنعة ، فهو عندئذ معيب . وقد رأى (الأصمعي) ، وهو من نقدة الشعر وعلمائه ، في تثقيف الشعر وحكّه وتشذيبه عبودية للشعر ، انتقد (زهيراً) و (الحطيئة) عليها ، فقال: « زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما ، عبيد الشعر . وكذلك كل من جوّد في جميع شعره ، ووقف عند كل بيت قاله ، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة . وكان يقال : لولا ان الشعر قد كان استعبدهم واستخرج مجهودهم ، حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة »

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٣) ، (الثقافة) .
٢ الشعر والشعراء (٢/٥٣٠) ، (الثقافة) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣٢) ، (الثقافة) .
٤ المصدر نفسه (١/٣٤) .

ومن يلتمس قهر الكلام ، واغتصاب الألفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين ، الذين تأتيهم المعاني سهواً ورهواً ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً ، وانما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي .. ولذلك قالوا في شعره : مطرفٌ بآلاف ، وخمار بواف. وقد كان يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء »[1] . وقد فسر (ابن قتيبة) الجملة الأخيرة المتعلقة بالنابغة الجعدي ، بقوله : « وكان العلماء يقولون في شعره خمار بواف ، ومطرفٌ بآلاف . يريدون ان في شعره تفاوتاً ، فبعضه حد مبرز، وبعضه رديء ساقط »[2] .

وجاء في (العمدة) (لابن رشيق) : « وكان الأصمعي يقول : زهير والنابغة من عبيد الشعر ، يريد انهما يتكلفان إصلاحه ، ويشغلان به حواسهما وخواطرهما »[3]، فوضع (النابغة) في موضع (الحطيئة) المذكور في (البيان والتبيين) وفي الموارد الأخرى .

قال (السيوطي) : « قال الجاحظ في البيان : كان الشاعر من العرب يمكث في القصيدة الحول ، ويسمون تلك القصائد الحوليّات والمنقحات والمحكمات ، يصير قائلها فحلاً خِنذيذاً وشاعراً مفلقاً »[4]. فالقصيدة الحولية المنقحة المُحكمة، هي القصيدة التي يتأنى بها صاحبها ، فيهذب فيها ويشذب ، حتى يحكمها ، لتصير متماسكة بينة متينة ، ومن هنا قال (الحطيئة) : « خير الشعر الحوليّ المنقح » ، أو « خير الشعر الحولي المحكك »[5] . وكانوا يسمون تلك القصائد أيضاً المقلدات[6] ؛ والحوليات ، والمنقحات ، والمحكمات. وقد أوجز (السيوطي) كلام (الجاحظ) ، الذي أدرك ما كان يفعله الشاعر بشعره من تغيير وتبديل ومن تنقيح وتجويد ، حتى يرضى عنه . فقال أكثر مما نقله (السيوطي) عنه ، قال إن من الشعراء « من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً، يردّد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه ، إتهاماً لعقله ، وتتبعاً على

---

١ البيان والتبيين (٢/١٣) « لجنة » ، الشعر والشعراء (١/٢٢ وما بعدها) ، (بيروت ، دار الثقافة) ، (١/٨١ وما بعدها) .
٢ الشعر والشعراء (١/٢١٠) .
٣ العمدة (١/١٣٣) .
٤ شرح شواهد (١/٢٦) ، باختلاف اللفظ ، البيان والتبيين (٢/١٣) .
٥ البيان والتبيين (١/٢٠٤) ، (٢/١٣) .
٦ البيان والتبيين (٢/٢٦) ، (٢/٩) ، (لجنة) .

نفسه ، فيجعل عقله زماناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره »[1] . يفعلون ذلك ليخرج شعرهم بليغاً بيّناً ، خالصاً نقياً ، حتى ينالوا منه ما يريدون من التأثير في السامع ، ومن استهواء الناس اليهم « وكانوا إذا احتاجوا الى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمـــور ميّثوا الكلام في صدورهم وقيّدوه على أنفسهم ، فإذا قوّمه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محكماً منقّحاً ومُصفّى من الأدناس مهذباً »[2] ، وقال : « وكانوا يُسمون تلك القصائد الحوليّات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً »[3] .

والحوليات ، هي القصائد التي يحول عليها الحول . والمقلدات ، البواقي من الشعر على الدهر وقلائده[4] . والمنقحات ، القصائد المنقحة المهذبة المحككة . يقال : خبر الشعر الحولي المنقح ، وأنقح شعره اذا حككه ، وأحسن النظر فيه ،وأصلحه وأزال عيوبه[5] . وقد كان الشاعر يحيل النظر في شعره ، ويفكر فيه ويصلح منه ، قبل أن يعرضه على الناس ، حتى لا يعاب عليه ، فيغض من قدره ، وتهبـــط منزلته بين الناس ، وتطمع فيه الشعراء . فهؤلاء الشعـراء ، هم أصحاب فن ، لا يهمهم الإخراج الكثير ، بل الشعر المحكك المنسق المنقـــح ، ولذلك يمكثون أمداً يعيدون النظر فيه حتى يعجبهم نظمه ، فيذيعونه عندئذ بين الناس .

وقد عرف (طفيل الغنوي) في الجاهلية بالمحبر ، وذهب علماء الشعر الى انه انما عرف بذلك لحسن شعره[6] ، وكان مثل زهير والنابغة « في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك »[7] . وقد عرف (ربيعة بن سفيان) الشاعر الفارس بالمحبر « لتحبيره شعره وتزيينه كأنه حبر »[8] . و (الحطيئة) ، و (النمر بن ثعلب) من هذه الطبقة التي تأنقت في شعرها وثقّفته[9] . وقد عرف (النمر بن تولب) بالكيس

---

١ البيان والتبيين (٢/٩) .
٢ البيان والتبيين (٢/١٤) ، (٢/٩) ، (هارون) .
٣ البيان والتبيين (٢/١٤) .
٤ تاج العروس (٢/٤٧٥) ، (قلد) .
٥ تاج العروس (٢/٢٤٢) ، (نقح) .
٦ العمدة (١/١٣٣) ، الشعر والشعراء (١/٣٦٤) .
٧ العمدة (١/١٣٣) ، تاج العروس (٣/١١٩) ، (حبر) .
٨ تاج العروس (٣/١١٩) ، (حبر) .
٩ العمدة (١/١٣٣) .

لحسن شعره[1] : وورد في رواية أخرى انه انما قيل له المحبر لقوله :

سماوته أسمال برد محبر وسائره من أتحمى معصب[2]

وكان (طفيل بن عوف بن كعب) (طفيل بن كعب) الغنوي ، أحد نعات الخيل من الجاهليين ، فعرف بطفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، قيل انه كان من أوصف الناس للخيل[3] ، وقد أخذ عنه بعض الشعراء ، مثل النابغة وزهير . وقيل انه كان ثالث الشعراء الوصافين للخيل[4] . وقد نشر (كرنكو) ديواني طفيل والطرماح مع ترجمتها الى الانكليزية ، وذلك ضمن سلسلة منشورات (جب)[5] .

ذكر أن أبا بكر قال يوماً للأنصار : زادكم الله عنّا يا معشر الأنصار خيراً، فما مثلنا ومثلكم إلا كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنّا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلّتِ
أبوا أن يملّونا ولو أن أمّنا تلاقي الذي يلقون منا لملّتِ

وروي أن معاوية قال : دعوا لي طفيلاً وسائر الشعراء لكم ، وأن عبد الملك ابن مروان ، قال : من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل .

ومن جيد الشعر المنسوب له ، قوله :

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٢٧) ، العمدة (١/١٣٣) .

٢ الخزانة (٣/٦٤٣) .

٣ « طفيل بن عوف بن خلف بن ضبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان ابن غنى بن أعصر » ، الخزانة (٣/٦٤٣) ، الاغاني (١٦/٨٥ وما بعدها) ، (ساسي) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (٢٧٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٦٢) ، ديوان طفيل والطرماح ، (كرنكو) ، (لندن ١٩٢٧) ، بروكلمن تاريخ الادب العربي (١/١٢٠) ، الشعر والشعراء (١/٣٦٤ وما بعدها) ، (الثقافة) ، السمط (٢١٠) ، المؤتلف (١٤٧) .

٤ بروكلمن (١/١١٩) .

٥ The Poems of T.B. 'A. al-Gh. and at-Tirimmah, ed and transl. by F. Krenkow, London, 1927 (E. J. W. Gibb Mem. XXV).

إني،وإن قلّ مـالي لا يفارقني مثل النغامة في أوصالهـا طول
أو قارح في الغرابيات ذو نسب وفي الجراء مِسَحٌّ الشدّ إجفيل
إن النساء كأشجار نبتن معـاً منها المرار،وبعض النبت مأكول
إن النساء متى يُنهين عن خلق فإنـه واجب لا بـدّ مفعول
لا ينصرفن لرشدٍ إن دعين له وهن بعـد ملائيم مخاذيـل[1]

ومن شعره :

وللخيل أيامٌ فمن يصطبر لهـا ويعرف لها أيامها الخـير تعقب

وقد شرح ديوانه (يعقوب بن السكيت) ، وقد رجع اليه (البغدادي)[2] .

وقد قسم (ابن رشيق) الشعر الى مطبوع ومصنوع . و « المطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً ، وعليه المدار . والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم ، فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين ، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سمّوه صنعة من غير قصد ولا تمثل ، لكن بطباع القوم عفـواً ؛ فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف : يصنع القصيدة ، ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب، بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصّدَ أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظة ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وابرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلم بعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الحطيئـة حسنَ نسقِه الكلام بعضه على بعض »[3] .

ولم يعب علماء الشعر الشعر المنمق المحكك ، إذا لم تؤثر فيه الكلفة، ولم يظهر عليه التعمل ، ولم يخرج عن حدود الطبع . ومن هنا قال بعض الحذّاق بالكلام: « قل من الشعر مـا يخدمك ، ولا تقل منه ما تخدمه . وهـذا هو معنى قول

---

١ الشعر والشعراء (١/٣٦٤ وما بعدها) .
٢ الخزانة (٣/٦٤٢) .
٣ العمدة (١/١٢٩) ، (باب في المطبوع والمصنوع) .

الأصمعي »[1] ، وهو أيضاً معنى (ابن رشيق) وغيره من علماء الشعر ، الذين يريدون شعراً طبيعياً صدر من القلب وعن عفو الخاطر،لا تعمّل فيه ولا تزويق يخرجه من الطبع الى الصنعة ، فيكون ثقيل الظل لا تستسيغه الطباع .

ويرى (بروكلمن) أن « القصائد الطوال كالمعلقات ، لم يتم نظمها دفعة واحدة . ومهما كانت القافية كثيراً ما تهدي الشاعر في نظم شعره ، فإنه يجدر بنا أن نتصور نشأة القصيدة في الزمن القديم على غرار ما وصفه (موزل) عند شعراء البادية المحدثين . وعلى ذلك فلا يستبعد بحال من الأحوال أن تكون القصيدة من نتاج حول كامل.ومن هنا وجدنا رواية أكثر القصائد لا تثبت على ترتيب واحد. فقد ينشد الشاعر شعراً لرواته وأحبائه أول الأمر لئلا ينساه ، ثم يزيد عليه ، لا سيما إذا ذكره أحباؤه بشيء غفل عنه،وربما بدل بعض أبياته بعد ذلك بأخرى لم يسمعها ذووه الأولون ، فتختلف الرواية عن الشاعر . ولا يأبى الشاعر نفسه أن يعترف بأن كل ذلك من بنات أفكاره . وقد يكون ذلك أيضاً هو السبب في أن كثيراً من الشعر القديم لم تبق منه إلا قطع متفرقة »[2] .

ولا يختلف الشاعر الجاهلي عن الشاعر الاسلامي في نظري في تهذيب شعره وتنقيحه . فقد كان للفرزدق الشاعر المشهور الذي حفظ وروى شعر عدد كبير من الشعراء المتقدمين رواة ، كانوا يعدلون ما انحرف من شعره ، ويهذبون ما يحتاج منه الى تهذيب ، وكانوا يروونه . وكان لجرير ، الشاعر الآخر ، وهو خصم الفرزدق ومنافسه في قول الشعر ، رواته ومعدلو شعره . كانوا يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السناد[3] . واذا كان هذا شأن شعراء أيام الأمويين الذين ورثوا تقاليد الشعراء المخضرمين والجاهليين ، وساروا على هديهم في الشعر، لا نستبعد اذن لجوء الشاعر الجاهلي ورواته الى التحكيك والتعديل واجراء التهذيب على شعره ، لغفلة قد تكون وقعت له ، وقد فاتت عليه ، أو لمعنى فات عليه، أدركه رواته عند إنشاده له ، أو غمز به خصومه فاضطر الى اجراء تنقيح عليه لإخراجه بالشكل الذي رآه يصلح فيه .

---

١ العمدة (١/١٣٣ وما بعدها) .
٢ بروكلمن (١/٦١) .
٣ الاغاني (٤/٢٥٦ وما بعدها) ، (دار الكتب) .

وقد حكك ونقح علماء الشعر ورواته ، ما سمعوه وأخذوه من شعر ، لأنهم وجدوا أنه في حاجة الى تحكيك،أو أنهم رأوا أن فيه خللاً ، وان عليهم واجب إصلاحه وتقويمه . أجروا مثل هذا التنقيح حتى في شعر الشعراء الإسلاميين. روي عن (الأصمعي) قوله : « قرأت على خلف شعر جرير ، فلما بلغت قوله :

فيالك يوماً خيره قبل شرّه تغيب واشيه وأقصي عاذله

فقال : ويله ! وما ينفعه خير يؤول الى شر ؟ قلت له : هكذا قرأته على أبي عمرو . فقال لي : صدقت وكذا قاله جرير ، وكان قليل التنقيح ، مشرّد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع . فقلت : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال : فيالك يوماً خيره دون شرّه .

فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء ، فقلت : لا أرويه بعد هذا إلاّ هكذا »[1] .

وقد اضطر علماء الشعر الى تنقيح ألفاظ في الشعر بسبب تصحيف أو تحريف وقع عليها بفعل النسّاخ ، ومثل هذا التنقيح مستساغ بالطبع ، بل واجب لأن فيه اعادة الشعر الى الصواب ، على أن ينص على الأصل الذي كان مكتوباً به ، والتصحيح الذي أدخل عليه ، وعلى السبب الذي حمل العالم على اجرائه عليه .

دواوين الشعر الجاهلي :

ودواوين الشعراء الجاهليين ، الموجودة عندنا هي كلها وبغير استثناء من جمع علماء الشعر الاسلاميين . فلا يوجد من بينها ديوان واحد ذكر انه كان من جمع أهل الجاهلية . وقد شرع بصنع هذه الدواوين في العصر الأموي . وبلغت العناية بها ذروتها في القرن الثالث للهجرة . وقد أبدى علماء العراق من موالي وعرب تفوقاً كبيراً على غيرهم من علماء الأمصار الاسلامية في هذا الباب .

وقد نسب الى (ابن عباس) قوله : « إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله،

---

١ ديوان جرير (٤٨٠) ، المرزباني ، الموشح (١٢٥) ، بروكلمن (١/٦٥) .

فاطلبوه في الشعر فإنه ديوان العرب »[1] . وإذا صح أن هذا الكلام الـذي رواه (عكرمة) عن (عبدالله بن عباس) هو من كلامه نكون قد حصلنا لأول مرة على لفظة (الديوان) ، بالمعنى المفهوم من اللفظة في عرف علماء الشعر والناس . وذكر أن لفظة (الديوان) قد وردت في حديث : « لا يجمعهم ديوان حافظ »[2]. وإذا صح هـذا الحديث وثبت ، يكون ورود اللفظة فيه قبل ورودها في كلام (ابن عباس) ، ومعنى هذا أنها كانت معروفة عند أهل الجاهليـة . غير أن ورودها في هذا الحديث لا يعني ديوان شعر ، وإنما الجمع والاحصاء ، وبمعنى كتاب وسجل تدون فيه الأشياء .

وروي أيضاً أن الخليفة (عمر) سأل الصحابة عن هذه الآية : « أو يأخذهم على تخوّف ، فإن ربكم لرؤوف رحيم »[3] ، فخاضوا في معناها ، فخرج رجل ممن كان حاضراً فلقي أعرابياً ، فقال التخوف : التنقص ، وكان ذلك الأعرابي من هذيل ، فقال له : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قـال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذليّ :

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعـة السفن

فقال عمر : أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال: شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[4] .

ويقال لمجموع الشعر المدون في دفتر أو كتـاب (ديوان شعر) . فيقـال (ديوان الشاعر) و (دواوين الشعراء) ، و (ديوان فلان) ، و (ديوان طيء) ، و (ديوان الأنصار) ، و (ديوان الشعـراء الجاهليين) ، الى غير

---

١ « وأخرج أبو بكر الانباري في كتاب الوقف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديـوان العرب » المزهر (٣٠٢/٢) ، (٤٧٠/٢) الاخبار الطوال (٣٣٢) ، (اذا قرأتـم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فان الشعر ديـوان العرب . وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا) ، العمدة (٣٠/١).

٢ تاج العروس (٢٠٤/٩) ، (دون) .

٣ النحل ، الآية ٤٦ .

٤ تفسير الطبري (٧٧/١٤) ، تفسير النيسابوري ، (٧٠/١٤ وما بعدها) ، وورد فيه أن اسم الشاعر : « زهير » .

ذلك . ويقصدون بذلك مجموعة أشعار جمعت في مجموع . وذكر بعض علماء اللغة ان الديوان « الدفتر ، ثم قيل لكل كتاب ، وقد يخص بشعر شاعر معين مجازاً حتى جاء حقيقة فيه . فمعانيه خمسة : الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر » . والديوان في الأصل الكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية. وأول من وضعه عمر . ويرى علماء اللغة ان اللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، وان كسرى كان قد رتب الدواوين لكتّابه ولمعاملاتهم ، فلما جاء الاسلام،وظهرت الحاجة الى تنظيم العمل . أمر الخليفة (عمر) باتخاذ الدواوين[1] .

واذا حملنا قول أهل الأخبار انه قد كان عند النعمان بن المنذر « ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته »[2] ، وقولهم ان النعمان ملك العرب كان قد أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، وهي الكراريس ، ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد ، قيل له : ان تحت القصر كنزاً ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار[3] ، على محمل الأخبار التي ظهرت في أيام الأمويين ، التي صنعها وروّجها بين الرواة حماد الراوية وأضرابه فإننا نثبت بذلك وجود الدواوين بالمعنى المفهوم من الديوان في أيام (حماد) ، وقبل أيامه . ولدينا أخبار أخرى تفيد ان الدواوين قد عرفت قبل أيام حماد .

ويظهر من قول (ابن سلام) : « وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون واليه يصيرون . وقال ابن عوف عن ابن سيرين ، قال : قال عمر بن الخطّاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته،فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار،راجعوا رواية الشعر ، فلم يئلوا الى ديوان مُدوّن ، ولا كتاب مكتوب ... »[4] أن الدواوين لم تكن موجودة ، وأن الشعر لم يكن مكتوباً في صدر الإسلام ، ولهذا ضاع أكثر الشعر الجاهلي بسبب انهماك حفّاظه في الحروب

---

١ تاج العروس (٩/٢٠٤) ، (دون) ، غرائب اللغة (٢٢٩) .
٢ طبقات الشعراء (١٠) ، المزهر (٢/٤٧٤) .
٣ الخصائص (١/٣٩٣) ، تاج العروس (٢/٧٠) ، (طنج) ، اللسان (٣/١٤٢)، (طنج) .
٤ ابن سلام ، طبقات (١٠) .

وهلاك بعضهم فيها ، ومنها حروب الردّة ، التي هلك فيها جمع من حفاظ الشعر من مسلمين ومن مشركين .

ويظهر مثل ذلك من رواية يرجع سندها الى (ابن سلام) تذكر أنه « كان الرجلان من بني مروان يختلفان في الشعر فيرسلان راكباً فينخ ببابه يعني قتادة بن دعامة ، فيسأله عنـــه ثم يشخص »[1] ، ويظهر من هذه الرواية إن صحت أن (قتادة) ، كان من الحافظين للشعر ، وقد عرف بأنه كان صاحب علم بأيام العرب وأنسابها وأحاديثها[2] ، وله أخبار في تفسير القرآن[3] ، ونعت بأنه كان من الحفاظ ، قال عنه (السيوطي) : « ولم يأتنا عن أحد من علم العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة »[4] . وهو من التابعين ، روي عـــن أنس وابن المسيب ، والحسن البصري ، وروى عنه (سعيد بن أبي عروبة)[5] . وقد ضرب الجاحظ به المثل في الحفظ ، إذ قال : « كان يقال ، زهد الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة ، وكلهم من البصرة »[6] . ويظهر أنه كان يروي الإسرائيليـــات[7] . وجمع (سليمان بن عبد الملك) بين قتادة والزهري ، فغلب (قتادة) (الزهري) ، فقيل لسليمان في ذلك ، فقال : إنه فقيه مليح . فقال القحذمي[8] : لا ، ولكـــنه تعصب للقرشية ، ولانقطاعه كان اليهم ، ولروايتـــه فضائلهم[9] . وقد عرف بالنسب[10] ، وهو أحد رواة (رسالة عمر بن الخطاب) الى (أبي موسى) الأشعري في أصول القضاء[11] .

---

١ ابن سلام ، طبقات (١٧ وما بعدها) ، المزهر (٢/٣٣٤) .
٢ ابن سلام ، طبقات (١٨) .
٣ المزهر (١/٢٩) .
٤ المزهر (٢/٣٣٤) .
٥ المصدر نفسه (حاشية ١) .
٦ البيان والتبيين (١/٢٤٢) ، ثمار القلوب (٩٠) .
٧ البيان والتبيين (١/١٠٤ ، ٢٥٨) ، عيون الاخبار (٢/١٧٩) .
٨ القحذمي : أبو عبد الرحمن بن هشام بن قحذم القحذمي ، من أهل البصرة توفي سنة (٢٢٢) ، لسان الميزان (٦/٢٢٧) .
٩ البيان والتبيين (١/٢٤٣) .
١٠ البيان والتبيين (١/٣٥٦) ، الحيوان (٣/٢١٠) .
١١ البيان والتبيين (٢/٤٨) .

وروى (الجاحظ) « ان رجلاً قتل أخوين في نقاب ، أحدهما بعالية الرمح ، والآخر بسافلته . وقدم في ذلك راكب من قبل بني مروان على قتادة يستثبت الخبر من قبله ، فأثبته »[1] . وهو يروى عن (ابن عباس)[2] ، وعن (أبي موسى)[3] ، ويظهر من الأخبار المنسوبة اليه انه من طراز القصاص ، الذين يروون الأخبار من دون نقد[4] .

وورد ان الخطاط الشهير (خالد بن أبي الهيجا) ، وهو أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ، وكان من أحسن الخطاطين في زمانه ، كتب «المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك »[5] . واذا صح هذا الخبر ، نكون قد وقفنا على جمع قديم للشعر ، هو في مقدمة المجموعات القديمة للشعر .

لكننا نجد في رواية تذكر ان حماداً الراوية سرق جزءاً من أشعار الأنصار ، فقرأه فاستحلاه وحفظه ، فمن ثم صار يطلب الأدب ويحفظ الشعر[6] . وهي رواية أشك في صحتها ، يظهر انها من موضوعات أعداء حماد ، ولو صحت لكانت دليلاً على وجود ديوان شعر ضم شعر الأنصار . كما نجد في خبر استدعاء (الوليد بن يزيد) له وإرساله اليه بمائتي دينار ، وأمره عامله (يوسف بن عمر) أن يحمله اليه على البريد ، وقوله في نفسه : « لا يسألني إلا عن طرفيه: قريش وثقيف : فنظرت في كتابي قريش وثقيف . فلما قدمت اليه سألني عن أشعار بلى »[7] ، دلالة على وجود ديوانين كانا عند (حماد) أحدهما ديوان شعر قريش ، والآخر ديوان شعر ثقيف . غير اننا لا نستطيع التأكد من صحة هذا الخبر ، وإن كنت لا أستبعده أيضاً ، لظهور التدوين قبل هذا العهد ، في أيام معاوية مثلاً .

واذا صح ما ذكره (ابن النديم) من قوله : « قال أبو العباس ثعلب جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ورد

---

١ البيان والتبيين (٣/٢٧) .
٢ الحيوان (١/١٨٠) .
٣ الحيوان (١/٢٩٦) .
٤ الحيوان (٥/٥٣٦ ، ٥٣٧) ، (٤/٢٩٣ وما بعدها) .
٥ الفهرست (١٥) ، (خطوط المصاحف) .
٦ الاغاني (٥/١٦٣) .
٧ الاغاني (٦/٩٤) .

الديوان الى حماد وجناد »[1] ، فيكون معنى ذلك ، انه قد كان عند (حماد) و (جناد) ديوانان أو دواوين للشعر ، استعارهما منهما (الوليد) ، وجمع منهما ديوان العرب وأشعارهم ، ثم أعاد الديوانين الى صاحبيهما،ونكون بذلك قد وقفنا على وجود لفظة (ديوان) بالمعنى الاصطلاحي المعروف في أيام الأمويين، ووثقنا من وجود دواوين الشعر في تلك الأيام .

ولم أجد في الدواوين التي وصلت الينا أو في كتب الأدب إشارات الى اقتباس رواة الشعر وحفظته وجماعه والمعنيين به من هذا الديوان ولا وصفاً لمحتوياته ولما كان بين دفتيه من قصائد وأشعار . ولو وصل الينا شيء من هذا ، لأفادنا ولا شك كثيراً في التعرف على ذلك الديوان الملكي الذي يجب أن نعده أول ديوان شعر عربي وصل خبره الينا بكل تأكيد حتى الآن .

ويذكر أن بعض شعراء العصر الأموي كانوا يملكون دواوين شعر لشعراء جاهليين . ذكر مثلاً أن (الفرزدق) كان يمتلك نسخة من ديوان الشاعر (زهير ابن أبي سلمى)[2] .

وقد أطلق القدماء مصطلح (دفاتر أشعار العرب) على مدوّنات الشعر . والدفتر جماعة الصحف المضمومة[3] ، وقسم (البغدادي) هذه الدفاتر الى قسمين: دواوين ومجاميع . فالدواوين ، هي دواوين الشعراء ، والمجاميع مثل أشعار بني محارب للشيباني ، والمفضليات للمفضل الضبي ، وأشعار الهذليين للسكري، وأشعار لصوص العرب للسكري ، ومختار شعر الشعراء الست : امرىء القيس ، والنابغة، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة وشرحها للأعلم الشنتمري وغيرها[4] .

ويظهر أن أول اختيار مدوّن للشعر عند العرب،كان القصائد المعروفة بالمعلقات اختارها حماد الراوية ، ثم سار من جاء بعده مثل (المفضل) الضبي ، وأبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ثم من جاء بعدهما على منهجه في اختيار وانتقاء الشعر والقصائد وجمعها في مجموعات . وقد ذكر (الجمحي) أن (حماداً)

---

١ الفهرست (١٤٠) .
٢ بلاشير (١٠٦) .
٣ تاج العروس (٣/٢٠٩) ، (دفتر) ، المصون (٤) .
٤ خزانة الادب (١/٩ وما بعدها) ، (بولاق) .

« كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ... وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار »[1] .

ولم أجد في الكتب المطبوعة التي تحدثت عن حماد ما يفيد اشتغال حماد بتدوين الشعر وإثباته في دواوين . وفي الفهرست عبارة تقطع بعدم ورود كتاب ولا ديوان كان من تأليف حماد أو جمعه ، إذ يقول : « ولم يُرَ لحماد كتاب ، وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده »[2] . ويفهم بالطبع من كلام (ابن النديم) هذا ان حماداً كان راوية حسب ، يروي للناس ما حفظه من شعر دون أن يعتني هو نفسه بإثباته لما يحفظه في حروف وكلمات . غير انه يجب الاحتراز كثيراً في الأخذ برواية ابن النديم هذه ، إذ لا يعقل إهمال حماد ترتيب ما كان يحفظه من شعر كثير ، وتدوينه وإملاءه . وقد أهمل ابن النديم أسماء كتب عديدة لمؤلفين معروفين ، كما ذكر أسماء علماء لم يشر الى مؤلفات لهم ، مع ان غيره أشار الى مؤلفاتهم ، وقد وصلت بعض منها الينا وطبعت ، فلا أستبعد أن يكون قول ابن النديم هذا من هذا القبيل .

ومما يقوي هذا الرأي ويؤيده ، ما ورد في مختارات (ابن الشجرى) عن أبي حاتم السجستاني من وجود كتاب لحماد الراوية ، إذ قال : « قال أبو حاتم: هذا آخرها ، وفي كتاب حماد الراوية زيادة » ، وقوله : « قال السجستاني : وفي كتاب حماد الراوية زيادة بعد هذا البيت أربعة أبيات ، كتبتها ليعرف المصنوع »[3]. وقد أورد ابن الشجرى قولَيْ السجستاني عند إيراده شعر الحطيئة. وكان السجستاني قد أشار الى كتاب حماد هذا ، لوجود أبيات فيه لم يجدها في رواية الأصمعي التي اعتمد عليها لشعر الحطيئة . وقد أورد تلك الزيادات ، ذاكراً انها مع ذكره لها من المصنوعات المردودات[4] .

وفي عبارة (ابن النديم) : « ولم يُرَ لحماد كتاب ، وإنما روى عنه الناس

---

١ طبقات ، لابن سلام (١٤) .
٢ الفهرست (ص ١٣٥) ، « أخبار حماد » .
٣ مختارات ابن الشجري ، القسم الثالث (ص ١٢ ، ١٦) ، « تحقيق محمود حسن زناتي » ، القاهرة ١٩٢٦ م .
٤ المورد المذكور .

وصنفت الكتب بعده »[1] ، هفوة . فقد ذكر (ابن النديم) نفسه حين كلامه عن (عوانة) ، أن الخليفة (الوليد بن يزيد) « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ... ورد الديوان الى حماد وجناد »[2] ، وفي هذه الإشارة دلالة على أنه كان لحماد ديوان ، ثم نجده يذكر أنه كان لعوانة بن الحكم كتاب التأريخ ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وقد توفي (عوانة) سنة (١٤٧هـ) ، أي قبل (حماد) المتوفى سنة (١٥٦م)[3] ، ونجده يذكر لعبيد بن شرية الجرهمي كتاب الأمثال ، ويذكر لصحار العبدي كتاباً في الأمثال كذلك ، وقد عاشا قبل عوانة وحماد[4] .

ودواوين الشعر أنواع : فقد يكون الديوان مجموع شعر شاعر واحد . وقد يكون مجموع شعر شعراء قبيلة ، أو مجموع شعر قبائل ، أو شعر جماعة مثل الأنصار ، وقد يكون مجموع شعر شعراء ، جمعت أشعارهم على شكل طبقات، أو فن امتازوا به ، أو اختيارات أو أسباب أخرى تذكر في مقدمة الدواوين . ومن النوع الأول دواوين بعض الشعراء الجاهليين ، مثل ديوان امرىء القيس ، وديوان النابغة الذبياني ، وديوان عنترة ، وديوان المتلمس وغيرهم . وقد يجمع ديوان شاعر واحد عدة علماء ، فيرد الديوان بروايات مختلفة . وقد تختلف النسخ في ترتيب أبيات القصيدة ، وفي عدد القصائد ، وقد تزيد بعضها أشعاراً ، وقد تنقص بعض منها أشعاراً ، وقد تختلف نسخ الديوان الذي هو من جمع عالم واحد ، بسبب أن العلماء كانوا يملون علمهم املاءً على تلامذتهم ، في مجالس املائهم ، فيقوم تلامذتهم بتدوين ما يملى عليهم . ويحدث أن العالم يسمع كتابة من بعض طلابه أو من كتابه ، فيصحح فيه،وقد يزيد عليه ما فات عن ذاكرته يوم إملائه في المرة الأولى ، فيأمر بتدوينه ، وقد يحذف منه شيئاً ، لم يرض عنه ، فتتعدد بذلك النسخ ، ويحدث ذلك في الكتب الأخرى ومن هنا تتعدد الروايات للديوان أو للكتاب ، مع أن جامعه أو مؤلفه رجل واحد .

وقد يأخذ الطالب هذا الديوان ، ثم يزيد عليه ما يسمعه من شيوخ آخرين ،

---

١ الفهرست (ص ١٣٥) ، (أخبار حماد) ، (١٤٠) ، (الاستقامة) .
٢ الفهرست (١٤٠) ، (أخبار عوانة) .
٣ الفهرست (١٤٠) .
٤ الفهرست (١٢٨) .

وقد يعلق عليه ويزيد على شرحه ، شروحاً سمعها من رجال آخرين . وبذلك تتولد نسخ جديدة ، تختلف عن النسخ الأم[1] .

وقد جمع العلماء دواوين الشعراء ، وقد وصل بعض منها ، وفقد البعض الآخر . وقد ذكر (العيني) انه كان قد حصل على ما ينيف على مائة ديوان شعر ،من بينها ديوان امرىء القيس،وديوان النابغة الذبياني ، وديوان علقمة بن عبدة التميمي ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، وديوان طرفة بن العبد ، وديوان عنترة ابن شداد العبسي ، وديوان الأعشى ميمون ، وديوان الحطيئة ، وديوان أبي دؤاد، وديوان كعب بن زهير ، وديوان لبيد العامري ، وديوان الشنفرى ، وديوان الحارث بن حلزة ، وديوان أبي ذؤيب الهذلي ، وديوان أبي كبير الهذلي ، وديوان ساعدة بن جؤية الهذلي ، وديوان أبي خراش الهذلي ، وديوان أبي المثلم ، وديوان صخر الغي ، وديوان المتنخل ، وديوان أبي العيال ، وديوان السموأل ابن عادياء ، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، وديوان عمرو بن قميئة ، وديوان عمرو بن كلثوم ، وديوان أوس بن حجر ، وديوان النمر بن تولب ، وديوان أبي الطمحان القيني[2] ، وغير ذلك من دواوين لم أشر اليها . ومما يؤسف له انه لم يذكر أسماء رواة هذه الدواوين .

ومن النوع الثاني ، دواوين القبائل ، أو أشعار القبائل ، وقد ضمت شعر شعراء قبيلة أو شعر بعض من شعرائها ، ممن اشتهر وعرف ، وتحتوي بالإضافة الى الشعر كلاماً يتصل بالشعر وبالشاعر وبالمناسبة التي قيل الشعر فيها ، وبنسب الشاعر وقبيلته ، على نحو ما نجده في الدواوين الخاصة ، فتكون بذلك وثائق مهمة جامعة لأمور شتى من حياة الجاهليين . وقد سميت هذه المجموعات بأشعار القبائل ، مثل : « أشعار الأزد » ، وأشعار حمير ، وأشعار الرباب ، وأشعار بني عامر بن صعصعة ، وأشعار فهم ، وشعر بني يشكر ، وأشعار بني عوف ابن همام ، وشعر هذيل[3] . وأشعار تغلب للسكري ، وقد رجع اليه (البغدادي)[4].

---

١ راجع في هذا الباب مصادر الشعر الجاهلي ، الباب الخامس وما بعده . (ص ٤٧٩ فما بعدها) .
٢ (٤/٥٩٦) ، (حاشية على الخزانة) .
٣ مصادر الشعر الجاهلي (ص ٥٤٣ وما بعدها) .
٤ خزانة (١/٣٠٤) .

وقد هلك أكثر ما جمع من أشعار القبائل ، ولم يصل الينا مطبوعاً من هذه المجموعات إلا ديوان هذيل ، وأكثر شعراء هذا الديوان إسلاميون . وقد نال شعراء هذيل بذلك حظاً من العناية،كما نشرت لشعراء هذه القبيلة جملة دواوين[1] .

وقد أطلق (ابن النديم) جملة (أشعار العرب) على معنى ديوان أشعار العرب ، فذكر مثلاً ان (الأصمعي) ، عمل « قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غربتها واختصار روايتها »[2] ، وذكر ان (خالد ابن كلثوم) الكلابي ، كان من رواة الأشعار والقبائل ، وله صنعة في الأشعار والقبائل ، وله من الكتب كتاب الشعراء المذكورين وكتاب أشعار القبائل،ويحتوي على عدة قبائل[3] . وذكر ان (أبا عمرو الشيباني) (٢٠٦ هـ) ، كان عالماً بأشعار القبائل ، وقد أخذ العلماء عنه دواوين أشعار القبائل ، وكان قد جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة[4] . وذكر أيضاً انه قد كان في بيت (أبي عبيدة) (٢١٠ هـ) (٢١١ هـ) (٢٠٨ هـ) ، (ديوان العرب)[5] ، ويظهر انه قصد به ديواناً ضم أشعار القبائل . فهو مجموع أشعار شعراء .

ومن النوع الثالث ، أي الكتب التي جمعت أشعار طبقة معينة من طبقات الشعراء أو المجتمع ، ما ذكره (ابن النديم) من أن (أبا العباس ثعلب) ، صنع قطعة من أشعار الفحول وغيرهم ، منهم الأعشى والنابغتان وطفيل والطرماح[6]. ومن أن (أبا بكر محمد بن القاسم) الأنباري ، وهو ممن أخذ عن (ثعلب) ، كان قد عمل عدة دواوين من أشعار العرب الفحول ، منه شعر زهير ، والنابغة، والجعدي ، والأعشى[7] . وقد عمل (محمد بن حبيب) قطعة من أشعار العرب ، وكتاباً سماه : (كتاب أخبار الشعراء وطبقاتهم)[8] ، وألف (ابن سلام) (٢٣١هـ)

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٢/١ وما بعدها) .
٢ الفهرست (٨٩) .
٣ الفهرست (١٠٤) .
٤ الفهرست (١٠٧) .
٥ الفهرست (٨٥) .
٦ الفهرست (١١٧) .
٧ الفهرست (١١٨) .
٨ الفهرست (١٦١) .

كتاباً في طبقات الشعراء ، عرف بـ (طبقات الشعراء) ، وهو مطبوع معروف. ولعمر بن شبة كتاب في الطبقات اسمه : (كتاب طبقات الشعراء)[1] .

هذا ونقرأ في كتاب (الفهرست) لابن النديم ، وفي مؤلفات أخرى أن من العلماء من ألف كتباً في القبائل ، مثل: « كتاب الأوس والخزرج » لأبي عبيدة[2]: وكتاب إياد ، وكتاب كنانة ، وكتاب بني نهشل ، وكتاب بني محارب ، وكتاب بني الحارث ، وكتاب بني مرة ، وأشعار حمير ، وكتاب بني القين ابن حسر ، وكتاب بني حنيفة وغيرها من كتب كان (الآمدي) قد رجع اليها وأخذ منها . وقد درست هذه الكتب ، ولم يتحدث (الآمدي) بشيء عما احتوته ، لذلك لا نستطيع أن نتحدث عن موضوعاتها ، بيد أن (الآمدي) يشير أحياناً ، الى مواضع اقتبس منها بعض الأشياء ، لها صلة بالشعر والشعراء ، مما يحملنا على القول بأن الكتب المذكورة كانت في الشعر : في شعر القبائل ، وفيمن نبغ بينها من شعراء ، كما يشير الى أمور أخذها من هذه الموارد التي لم يشر الى أسماء مؤلفيها ، تدل على أنها خاصة بأخبار القبائل وأنسابها ، ونظراً الى ورود أسماء قسم من هذه المؤلفات التي لم يذكر (الآمدي) أسماء مؤلفيها في (الفهرست) لابن النديم ، وفي موارد أخرى نقلت منها وأشارت الى أسماء مؤلفيها ، فإن في الإمكان التعرف بهذه الطريقة على أسماء مؤلفي تلك الكتب . وقد أشار (الآمدي) الى أسماء المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم التي استقى أخباره منها في مواضع أخرى .

وعلى كثرة ما ألّف من دواوين ، فإننا لا نملك منها سوى قسم قليل من ذلك الكثير . ويرى (بلاشير) ان الدواوين القديمة المهمة لا تحتوي وسطياً أكثر من عشرين صفحة ، وان أطولها كدواوين النابغة وزهير وامرىء القيس لا تتجاوز أبداً الثلاثين صفحة في الأصل ، غير ان المتأخرين زادوا فيها قصائد ومقطعات عثروا عليها في موارد أخرى ، فتضخمت تلك الدواوين حتى صارت أضعاف ما كانت عليه في الأصل[3] .

وجمع بعض علماء الشعر أشعار طوائف من المجتمعات مثل شعر اللصوص ،

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٤٤) .
٢ الفهرست (٨٦) .
٣ ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (١٦٢) .

فللسكري ديوان دعاه : أشعار لصوص العرب . ومثل شعر الصعاليك ، وشعر الشعراء المغتالين ، وأخبار من نسب الى أمه من الشعراء ، وأخبار المتيمين من الشعراء في الجاهلية وفي الاسلام ، الى غير ذلك من مؤلفات في أخبار الشعراء وفي شعرهم[1] .

ويظهر أن مؤلفي الدواوين لم يخفلوا في أيامهم بموضوع شرح المناسبات التي من أجلها نظم الشعر ، ولهذا جاءت خالية في الغالب من ذكر المناسبة ، وهي إذا ذكرتها فإنما تذكرها بإيجاز واختصار . أما الشروح التي قد ترد في الديوان، فإنها شروح لغوية ونحوية في الغالب ، لم تتمكن من تقديم صورة واضحة عن الشاعر وعن المناسبات التي من أجلها نظم الشعر . وقد انبرى علماء آخرون بشرح هذه الدواوين ، إلا أن شروحهم لم تخرج أيضاً عن مألوف ذلك الزمن من الاهتمام باللغة والنحو وجمع الشواهد والنادر والغريب ، فضاع التأريخ نتيجه لهذه الطريقة .

وقد ذكر (ابن النديم) أن شعر (امرىء القيس) قد عمله جملة علماء ، منهم أبو عمرو الشيباني ، والأصمعي ، وخالد بن كلثوم ، ومحمد بن حبيب ، وأبو سعيد السكري الذي صنعه من جميع الروايات . وقد صنعه أبو العباس الأحول ولم يتمه وعمله ابن السكيت[2] . ويلاحظ أن جامعي هذه الدواوين لم يشيروا الى المورد الذي استقوا منه شعرهم . صحيح ان منهم من ذكر السند، إلا انه لم يذكر كيف حصل المرجع الذي ينتهي السند عنده على هذا الشعر . ولم يخفل الرجال الذين تنتهي الأسانيد بهم بذلك ، مع أن لذكر السند كاملاً أهمية كبيرة بالنسبة للمؤرخ . إذ نتمكن بهذا التشخيص من الوقوف على معين هذا الشعر .

وقد دوّن (ابن النديم) جريدة بأسماء علماء الشعر الذين اشتغلوا بعمل دواوين الجاهليين . وقد استعمل لفظة (صنع) و (عمل) و (صنعة) في معنى (جمع) و (ألف) و (تأليف) . واستعمل جملة « صنعه من جميع الروايات » بعد اسم الجامع وقبل اسم الشاعر للإشارة الى ان جامع الديوان قد اعتمد على المجموعات

---

١ الخزانة (١/١٠) ،(بولاق) راجع الفهرست لابن النديم ، حيث تراه يذكر أسماء مؤلفات عديدة بهذا الموضوع .

٢ الفهرست (٢٢٩) .

الشعرية التي صنعت قبله ، وأوجد من مجموعها ديوانه . فقد تقدم رواية قصيدة على قصيدة ، وقد تؤخر أخرى قصيدة متقدمة ، فتقدم عليها قصيدة متأخرة ، وقد يقدم ديوان بعض أبيات قصيدة ، وقد يرتبها ديوان آخر ترتيباً آخر ، لاعتماده على مورد آخر ، روى القصيدة بصورة أخرى ، وقد يذكر ديوان شعراً وقطعاً وقصائد أو قصيدة لا تكون موجودة في الدواوين الأخرى أو في بعض منها، ولهذا يأتي جامع جديد ، تقع عنده تلك الدواوين، أو تكون عنده كتب شواهد ونوادر وأخبار ، فيها من شعر الشاعر ما لم يرد في ديوانه فيضمه اليه ، ويكون من المجموع ديواناً جديداً ، برواية جديدة ، تنسب اليه ، كما فعل (السكري) بالنسبة لشعر امرىء القيس .

ومن أعرف من اشتغل بجمع أشعار القبائل : أبو عمرو الشيباني ، وخالد بن كلثوم ، والطوسي ، والأصمعي ، وابن الأعرابي ، ومحمد بن حبيب[1] . ونظراً لحفظهم أشعار القبائل ، حفظوا بالطبع أشعار الشعراء الجاهليين، وحملهم ذلك على جمع أشعارهم في دواوين خاصة . وقد أضاف (ابن النديم) عليهم ، اسم (ابن السكيت) ، وثعلب[2] . وكان (الطوسي) عدواً لابن السكيت ، لأنهما أخذا عن (نصران) الخراساني ، واختلفا في كتبه بعد موته . وكانت كتب نصران لابن السكيت حفظاً وللطوسي سماعاً »[3] .

ولم يرتب صناع الدواوين الشعر على حسب الترتيب الزمني ، وإنما رتبوه على ترتيب القوافي ، أي وفقاً لترتيب أبجدية القوافي . وقد يسر هذا الترتيب للقارىء الرجوع الى الشعر الذي يريده ، لكنه حرمه من شيء ثمين جداً ، هو معرفة زمن نظم الشعر . وللزمن أثر كبير في الوقوف على تطور شعر الشاعر ، وعلى مدى تقدمه أو تأخره في نظم الشعر ، كما حرمه من الوقوف على العوامل التأريخية التي أثرت على الشاعر وعلى مجتمعه فدفعته على نظم شعره . ومع وجود بعض المراجع المساعدة من مثل كتب الأخبار والأدب والشواهد ، فإن هنالك أموراً تأريخية تخص الشعراء الجاهليين والشعر الجاهلي ، بقيت خافية علينا ، بسبب عدم

---

١ الفهرست (٢٢٩) ، (المقالة الرابعة) .

٢ الفهرست (٢٣٠) .

٣ الفهرست (١١٢ وما بعدها) .

اهتمام علماء الشعر آنذاك بموضوع ترتيب الشعر ترتيباً زمنياً ، ولعدم اهتمامهم بذكر أسباب نظم كل بيت أو قطعة أو شعر ، أو قصيدة ، مع بيان الزمن الذي نظم الشاعر فيه شعره .

وقد ظهر قوم دوّنوا الشعر في الصحف ، وقرأوه منها ، ونظراً لمكانة الحفظ عند العلماء ، ولقياسهم علم الإنسان بمقدار حفظه ، لا بما كان يشرحه أو يفسره من الصحف والكتب ، لذلك لم ينظر إلى مدوّني الصحف نظرة تجلة وتقدير ، لأنهم في نظرهم قراء صحف لا غير . قال (ابن قتيبة) : « يرويه المصحفون والآخذون عن الدفاتر »[1] ، ذكر ذلك في معرض الاستخفاف بعلمهم ، لكونهم لا يميزون بين الشعر الصحيح من الفاسد ، والرديء من الجيد ، لأنهم يقرأون عن صحف ، وينطقون بحروف وكلم مكتوبة ، لا عن فهم ودراية مثل رواة الشعر ، الذين خزنوا علمهم في أدمغتهم ، فإذا سُئلوا عن شيء أجابوا عن روية وفكر ، لا عن صحيفة مكتوبة .

وقد ساعدت الكتب المؤلفة في أخبار القبائل مساعدة كبيرة في جمع الشعر الجاهلي ، ونجد في كتاب (الفهرست) لابن النديم أسماء مؤلفات كثيرة ، في القبائل ، وفي أمور أخرى لها صلة بالشعر ، ذكرها أثناء تحدثه عن الأشخاص الذين ذكرهم في كتابه . وقد هلكت أكثر المؤلفات المذكورة ، ولكننا نجد نقولاً منها في بعض الكتب التي كتب لها البقاء والتي قدر لها أن تطبع .

ولا أجد في نفسي حاجة الى ذكر الموارد الأخرى التي أفادتنا كثيراً في جمع الشعر الجاهلي وفي الوقوف عليه ، لأن لقارىء هذا الكتاب إلماماً بها ، قد يزيد على إلمامي بها . وعلى رأس هذه الموارد كتب الأدب ، مثل مؤلفات الجاحظ ، وكتاب الأغاني للأصبهاني ، وكتب الأمالي والمجالس وغيرها ، ففي هذه الموارد مادة قد لا نجدها في كتب الشعر ، وقد ذكرت أسماء مصادر قديمة نقلت منها لا نعرف اليوم من أمرها شيئاً .

ولا بد من الإشارة أيضاً الى كتب النحو والشواهد ، فقد جاءت بأشعار جاهلية استشهد بها على إثبات قاعدة نحوية ، أو شاهد رأي جاء به عالم لإثبات

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٨) .

رأيه في موضوع لغوي أو نحوي . وقد نص على اسم أو أسماء الشعراء في بعض الأحيان ، ولم ينص على الأسماء في أحيان أخرى . وقد يمكن معرفة بعض الأشعار التي لم ينص على اسم قائلهـا ، بالرجوع الى المـوارد الأخرى التي نسبتها الى قائليها ، غير ان الحظ لا يساعد في أحيان أخرى على معرفة اسم قائل الشاهد ، لعدم وجوده في موارد أخرى . وقد يكون شاهداً مفتعلاً ، فلا يمكن التوصل الى أصله بالطبع .